

استراتيجية التعريب

للاستاذ: عبد العزيز بن عبد الله

رابع يستكمل قبل 1980 توحيد بقية مصطلحات التعليم بأسلاكه الثلاثة في التكنولوجيا والعلوم .

صحيح أيضا أننا وضعنا معاجم موازية للقطاع الإداري ولشقي المجالات الحضارية في المصنع والمخبر والمتجر والمنزل والشارع وغير ذلك .

كل هذا صحيح ولكن حذار من أن نستكين إلى ذلك فنظن أن المشكل قد حل لأن هناك عواميل مختلفة معقدة هي التي يجب أن نتكبد عليها لتوفير الواسل الكفيلة بحلها .

ففي إطار التعريف بهذه المشاكل قمت منذ تزيد من عشر سنوات بالقاء سلسلة محاضرات كمسؤول عن مكتب تنسيق التعريب أقيمتها من الخليج إلى الجزائر مارا بالقاهرة حيث أقيمت خلال شهر أبريل 1975 سلسلة أخرى في معهد الدراسات والبحوث العربية حول « التعريب ومستقبل اللغة العربية » وكنت هذه المحاضرات دقات صارفة لأجراس الخطر في غير تشاؤم ولكن في واقعية تستند من الأرقام ومن معطيات تطور اللغويات الحديثة في الملم المعاصر .

إن دولاب الحياة يدور بسرعة والمصطلح العلمي يتزايد يوميا بنسبة خمسين كلمة كل صباح وبعض الدول العظمى كفرنسا أصبحت تشعر بالعجز عن مسابرة الركب دون أن تخضع لدخيل يفزوا لغتها — دخيل ينطلق من دول عظمى أخرى أصبحت تتحكم بكشوفها العلمية في تكييف المصطلح التكنولوجي الحديث ... فعندما نضع مصجبا — مع لفرس استكمال مفاهيم موضوع هذا المعجم وهذا غير صحيح لا بالنسبة لمعاجمنا ولا بالنسبة للمعجم الموجودة في مختلف اللغات — نقول عندما نضع هذا المعجم نضل

إن العروض والتدخلات التي استمعنا إليها في (ندوة استراتيجية التربية والتعريب) قد اطلعتنا جميعا بقدرا ككنت لي شخصيا فعالية التهجية التي اختارها مكتب تنسيق التعريب في خصوص الشق الجوهري من رسالة هذه الندوة أي التعريب وهو شق تبرز كل أبعاده عندما يدرس من خلال منهجية موازية تستهدف توحيد مناهج التربية في الوطن العربي وهذان الهدفان من أجلهما أسست المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

وإذا كان من المفيد استعراض المبادئ العامة لهذه الوحدة خاصة في التعريب فإنه لا يكفي أن نقف عند هذه المبادئ لا سيما وأن العالم العربي ظل يردد في هلمس منذ عقود من السنين وهي مبادئ لا تزيدها طفرات دولاب الحياة المعاصرة في حركته الديناميكية إلا استحضانا للفروج من الحيز النظري إلى هيز العمل ولأنك فإن مكتب تنسيق التعريب بعد دراسات وتجارب قام بها خلال تزيد من عشر سنوات تبلورت لديه منهجية منطقية رصينة أدت إلى وضع نحو الخمسين معجما في شتى مجالات الفكر والتكنولوجية والعلوم بثلاث لغات هي العربية والفرنسية والإنجليزية ولكن !... هنا يجب أن نتوسع في هذا التساؤل في نقد ذاتي نستشف من مضامينه جوانب النقص وأسباب الضعف والتعثر .

صحيح أننا وحدنا المصطلح العلمي إلى نهاية السلك الثانوي خلال مؤتمر التعريب الثاني الذي أتمقد في الجزائر عام 1973 وصحيح أننا ذهبنا أبعد من ذلك فاعدنا خطة محكمة لاستكمال توحيد هذا المصطلح في باقي مواد السلك الثانوي وجزء من العالي خلال المؤتمر الثالث الذي سينعقد بحول الله أوائل عام 1977 بتونس أو بغداد وسيعقبه مؤتمر

(1) كلمة القاها الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله في ندوة استراتيجية التربية والتعريب التي انعمتت عاصمة الجزائر بين 5 و8 مايو 1975 .

هذه الندوة مطالبة باستقصاء أسباب الضعف والركود في مقومات اللغة ومعطيات التربية في الوطن العربي ولأن تجارب الغير في ميدان اللسانيات وغير اللسانيات يجب أن تكون لنا عبرة في اختيارنا ! ان دويلسة اسرائيل قد جعلت من العبرية لغة التعليم في الطب والهندسة والعلوم في الجامعات لانها اخذت الامر بجد ووحدت خطتها بجد وعبأت مائتي خبير لا شغل لهم الا تتبع ما يستجد من مصطلح لمبرنته في الحين واصدار مرسوم حكومي في الحين بالترميم في التدريس والتايف وباقي اجهزة التعبير في الدولة .

ان مجمع القاهرة قد ولد مائة الف مصطلح منذ انشائه ولكن الكثير منها - بالرغم عن جودته مات في الرفوف لعدم الالتزامية وقد سمعت في نفوسنا روح الامل ما صرح به وزير التربية الجزائري في خطابه الختامي للمؤتمر الثاني للتعريب من تعهده بان تكون الجزائر اول من يلتزم باستعمال هذا المصطلح الموحد بل وعد السيد رئيس الدولة الهوارى بومدين علانية بانه سيعمل على تحقيق هذه الالتزامية باثارة القضية في احدى دورات مؤتمر القمة ونرجو ان يتم ذلك .

نعم ان الاستعمال الازامى هو القوام الحقيقي لحياة هذا الكائن الذي هو المصطلح ولكن هذا الاستعمال لن يكون فعالا اذا لم توفر له شروط منطقية مثل توحيد الكتاب العلمى لكل اجزاء العالم العربى ! فاذا كنا حقا امة عربية واحدة لنا لغة واحدة وتراث واحد فلماذا لا نوحده مناهج تربيتنا ومقومات هذه المنهجية !! ان المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عندما قرنت مشكل التعريب بمشكل التربية انما قرنت عنصرين متكاملين لا ينطلق احدهما بدون الاخر ولذلك فان ندوتكم هذه تشكل اول ندوة في تاريخ العروبة اضطلمت برسالة خطيرة هي البحث عن وسائل دعم التعريب الصحيح بوحدة في الفكر وفي منهجية الفكر ونرجو ان لا ننتبه في الجزئيات وان نعمل - والمشكل واضح والحل ايضا واضح - على تكليل اعمالنا بتوصيات لا تكون كتوصيات ندوات اخرى تماقتت في العالم العربى ومحا لاحققها ما قرر سابقها ! ان الامر جد وان الوضع لشديد الخطورة وان هذه الوحدة التى نستهدفها اليوم هى وحدة مصرية لانها تشكل المقوم الاول لكل الوحدات الاخرى اذ ان توحيد الفكر هو المتطلب الاساسى الذى لا يمكن ان يتحقق بدون استكمال عناصر اية وحدة اخرى .

خلال عدة سنوات - نحن العرب - نتراجع في نواجة يدينا احد عواملها الى آخر حتى تمر سنوات قبل ان يبرز المعجم للوجود فيبرز ناقصا ناقصا مزريرا لان خلال هذه السنوات تكون مادة المعجم العلمية قد ترايدت معطياتها باعتبار ترايد عدد مصطلحاتها المستجدة ولو بنسبة مصطلح واحد من خمسين مصطلحا في كل يوم ! هذا من جهة ومن جهة اخرى يضع العالم العربى كثيرا من وقته الثمين بين توان وتواكل او مجانبات هلمشية تخطت حدود الحقل السياسى لتنعكس على المجال الثقافى نفسه فتجد دولا عربية او هيئات داخل دول عربية تتمسك بمصطلح تمسكا بليفا لجرد كونه وليدا عزيزا عليها او لحنا شهر لديها فتقلب المجانبات الى مباحكات تودى احيانا الى مساومات على حساب قيمة الكلمة علميا او جزالتها وحيويتها ! وهذا هو ما يقع في مؤتمراتنا وليس المشكل في هذه الحالة مشكل منهجية فمنهجيات الجامع العربية والهيئات اللسانية منهجيات لا تقل رصانة وعمقا وانضباطا عن منهجيات غيرها ولكنها منهجيات تتدافع لان وراها خلفيات ليست وليدة تفكير عربى ولا مقحمة اقحاما مفرضا في هذا التفكير العربى بل انها تشكل - سواء شعرنا بذلك ام لم نشعر به - رواسب لاستعمارين مختلفين يتقاربان تارة ويتدافعان تارة اخرى هما الاستعمار الانجلوسكسونى والاستعمار الفرنسى فاذا استعرضنا مجسالات الخلاف بين مجمع وآخر ومعهد لسنى وآخر حول مصطلح ما نجد في كثير من الاحيان ان سر الخلافكامن في اختلاف اللغتين اللتين يستند اليهما كمصدر للتعريب او التوليد ، وقد شكلت هذه الظاهرة بالنسبة لمكتب تنسيق التعريب عاملا خطيرا لان عناصر مفتعلة تسربت مع الزمن الى تراثنا فطمعت الكثير من مناهجنا سواء في التربية او بقى مناحى الحياة واصبحنا ضمن دفاعنا عن التراث ندافع عن رواسب استعمارية دون وعى فعال منا والا فلماذا هذا الخلاف في التفكير والتتبع بين شقى العروبة في ميدان التربية والتعريب ؟ بل حتى في كثير من الاختيارات الاقتصادية والاجتماعية والفكرية !!

فهل تساءلنا لماذا نجح الصهاينة في احياء لغتهم العبرية الميته بينما نتعثر نحن في احلال لغتنا الحية المقام الذى كان لها في العصور الوسطى كلفة علم وحضارة !!

هذا سؤال لا يخرج عن نطاق هذه الندوة لان